التعليم الإفتراضي الديني (الفرص والتحديات)

الكتّاب: نرجس عبدالعزيز طريف[1]، فرقان الوائلي[2]

استلام: ١٤٣٨/٠٩/٢٧ **قبول:** ١٤٣٨/١١/١٠

المستخلص

تطبيقاً لقوله تعالى: «**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» وحيث أن أساليب الدعوة الى الله تعالى في حالة صيرورة دائمة، تتغير وتتفاعل مع معطيات كل عصر وظروفه، فلا بد للعاملين في مجال الدعوة من مواكبة ذلك، عبر دراسة المتغيرات والبحث عن الفرص التي تمكنهم من تقديم الدين فكراً وسلوكاً الى الآخرين بأفضل الوسائل التي يتوصل إليها الإنسان، ومن ثم توظيفها فعلياً لخدمة هذا الهدف.

من هنا جاء هذا البحث الذي يتضمن تصوراً لأحد الأساليب الهامة التي تخدم مجال الدعوة إلى الإسلام المحمدي ﷺ الأصيل في عصرنا المليء بالتحديات الإلحادية من جانب، والتكفيرية من جانب آخر، ألا وهو: التعليم الإفتراضي.

هذا البحث يشتملُ على محاور عدّةٍ تدور حول هذا النوع من التعليم: تاريخاً، ومكانةً، وأهدافاً ونتائجاً. سيركّز البحث على عدة محاور رئيسية هي: تعريفات عامة، أهمية الموضوع ومجالاته، تطبيق التعليم الإفتراضي الديني.

وأخيراً، فإن البحث سيرتكز على المصادر العالمية ذات الصلة، مستفيداً منها في ما يهدف إليه من إيصال فكرة التعليم الإفتراضي للمهتمين بشؤون الدعوة الإسلامية الأصيلة؛ إيماناً منا بأن الحصانة الفكرية، والأخلاقية، هي أقوى سلاح في مواجهة قوى الإستكبار التي تهدف إلى اضعاف العقيدة الدينية في المجتمع المسلم.

الكلمات المفتاحية: التقنيات التعليمية، البحثية الإفتراضية، التعليم الإفتراضي الديني

١- طالبة ماجستير فى فرع التفسير وعلوم القرآن، جامعة المصطفى ﷺ المفتوحة، ntareef@gmail.com

2. furqan62@outlook.com

المقدمة

أضحى التعليم الإفتراضي الذي هو صيغة متطورة من التعليم الإلكتروني واجهة من واجهات هذا العصر، وأحد أبرز سمات العملية التربوية القائمة على الأسس الحديثة، ولذلك تتجه بلدان العالم قاطبة نحو هذا اللون من التعليم بسبب فاعليته، وتوفر متطلباته التقنية وخاصة نظم المحاكاة البديلة عن المخابر الدراسية والمعملية وتكاليفه الزهيدة ابتداء ومردوده الكبير الإقتصادي والإجتماعي انتهاء ولدوره المؤثر في تبادل الخبرات في مختلف حقول المعرفة، فضلا عن تأثيره الإيجابي على المجتمع وأخلاقياته وسلوك أفراده بسبب زيادة التفاعل داخله- أي: داخل المجتمع- ما يسهم في حل المشكلات التي تعترض تقدمه المعنوي والمادي.

إن أساس التعليم الإفتراضي قائم على تكنولوجيا المعلومات وما توفره من بيئة تفاعلية تشدَّ الطالب أو المتلقي إلى متابعة دراسته بثقة واعتمادية ورغبة صميمية.

وقد قامت البلدان المتقدمة على مدى السنوات القليلة الماضية بخطوات كبيرة في هذا المجال، وبدأت تقترب شيئاً فشيئاً من فكرة الدراسة الإفتراضية بديلا عن الحضورية، وذلك لأن الغاية الأساسية من التعليم هي خلق الدافع الذاتي القوي للتعلم المستمر وتحفيز الطالب للبحث المتواصل بحيث يصبح جزء صميمياً في ذاته.

هذا الهدف يتحقق من خلال توفير المعرفة التفصيلية التي يتفاعل معها الطالب بغالب حواسه، وهو ما يوفّره التعليم الإفتراضي بشكل يتوقع معه بأنه سيصبح السمة البارزة للتعليم في المستقبل القريب.

إستنادا إلى ما سبق، تطرح هذه الورقة البحثية تصورات عن كيفية تسخير تقنيات وإمكانات التعليم الإفتراضي في مجال التعليم الديني، وصولا إلى تعليم إفتراضي اسلامي أصيل وقادر على تجاوز التحديات الفكرية العصرية، وإعطاء الأجوبة المنطقية الصحيحة، وسعيا إلى بناء أجيالا من الشباب المؤمن الملتزم الذي يعرف

كيف يبدأ وإلام ينتهي، ويشخص الوسائل الصحيحة الموصلة للغايات النبيلة، ويساهم في بناء مجتمعه الإسلامي الحضاري، دون أن يتنازل عن معتقداته الأصلية.

نبذة تاريخية مبسطة

الصورة المرفقة تظهر تاريخاً مبسطاً للتعليم الإفتراضي، ويتلخص في الآتي:

١. في عام ١٩٢٤ اخترع سيدني بريسي الأستاذ في جامعة اوهايو في اميركا جهاز اسماه المعلم الأوتوماتيكي[1]، وهو أول جهاز في تاريخ التعليم الإلكتروني. هذا الجهاز كان يهدف الى تدريب الطلبة ويهدف الى اختبار أنفسهم من خلاله إلا أن الجهاز لم يكتب له النجاح.

٢. في عام ١٩٥٤ أنشأ البروفيسور في جامعة هارفرد سكنر ماكنة التعليم[2] وهي جهاز ميكانيكي كانت الغاية منه ادارة المناهج التعليمية بطريقة مبرمجة، وقد أتت دراسات هذا البرفيسور بأجهزة توفر الظروف المثلى للتدريس الذاتي.

٣. عام ١٩٦٠ تم وضع الاساس المنطقي لعمليات التعليم الآلي في جامعة ألينيوي وتم استخدام هذا الأساس في التدريس الإبتدائي والجامعي.

٤. عام ١٩٦٦ قام الأستاذان في علم النفس في جامعة ستانفورد باتريك سابوز وريتشارد اتكيسون باستخدام الحاسوب في تعليم الرياضيات والقراءة للطفال الصغار.

٥. عام ١٩٦٩ قامت وزارة الدفاع الإميركية بابتداع الإنترنت بالإتفاق مع احدى الشركات.

٦. عام ١٩٧٠ تم اختراع الفأرة وواجهة المستخدم الرسومية للحاسبات، وبدأ التدريب على الحاسبات في معهد نيوجيرسي التقني.

---

1. Automatic Teacher

2. Teaching Machine

٧. عام ١٩٨٠ بدء عصر الحاسوب الشخصي.
٨. عام ١٩٩٠ انطلاقة التعليم الإفتراضي مع بداية العصر الرقمي.
٩. عام ٢٠٠٠ بدأت الشركات العالمية بتدريب موظفيها من خلال التعليم الإفتراضي، وظهرت بوادر هذا التعليم عبر مواقع عالمية.
١٠. عام ٢٠١٠ اتساع التعليم الإفتراضي من خلال المواقع الإجتماعية كتويتر ويوتيوب وفيسبوك.[1]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

1. *http://www.riemysore.ac.in/ict/unit__7__elearning.html*

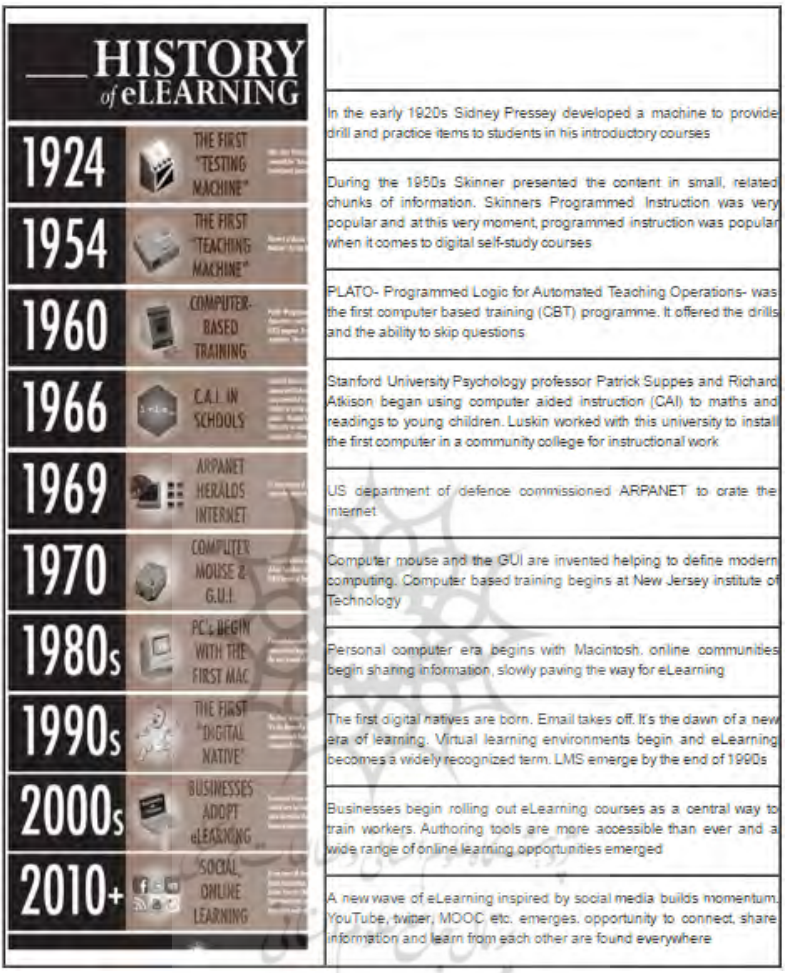

وعلى الرغم من أن التعليم بواسطة الإلكترونيات قد بدأ فعلياً من خلال نقل المحاضرات التقليدية داخل الصفوف عبر اجهزة التلفاز إلا أنه تطور سريعاً مع تطور وسائل التعليم التقليدية وتحويلها الى وسائل الكترونية أولية حيث تم ابتكار كل من جهاز البروجكتر التعليمي، ثم السبورات التفاعلية، ثم السبورات التفاعلية

المبرمجة، ومع التطور التقني في الفضاء السيبرانتي تم التحول الى التعليم الإفتراضي بتقنياته المعروفة حالياً، والتي آخر صيحاتها هو التعليم الإفتراضي باستخدام أنظمة المحاكاة.

أما المشروع الحالي لتطوير التعليم الإفتراضي فيستهدف جعل التفاعل عبر قراءة الأفكار[1].

هذا المشروع المخطط لإنجازه خلال السنوات العشر القادم سيكون ثورة هائلة في مجال نقل المعلومات للمتلقين بأسرع وقت، لأن هذا المشروع يتضمن كهدفٍ فرعي دراسة كيفية الكتابة على الذاكرة البيولوجية للدماغ البشري.

تعريف التعليم الإفتراضي

التعليم الإفتراضي هو استخدام تكنولوجيا الحاسبات والإنترنت لتقديم مجموعة واسعة من الحلول لتمكين التعلم وتحسين الأداء،[2] وهو بهذا جزءٌ من التعليم الإلكتروني الذي لا يشترط فيه وجود شبكات أنترنت بالضرورة ولا حتى حاسبات، إذ يمكن الإقتصار فيه على ما يسمى بالسبورات التفاعلية داخل الصف.

إن هذا التعريف وعلى الرغم من إختصاره، يتضمن الكثير من الإضاءات على مواصفات وشروط وأهداف التعليم الإفتراضي.

فالتعليم الإلكتروني يعتمد على الحاسبات في وصول المعلومة الى الطالب من الأستاذ أو المكتبة الإفتراضية أو مجموعات الحوار، ولهذا فلا بدّ من الحصول على حاسبات تستوفي الشروط اللازمة لوصول المعلومة دون تقطع أو تشويش أو بطء مرفقة ببرمجيات متقدمة خاصة للتواصل بين المتلقي-الطالب- ومصدر المعلومة كما أنه لا بدّ من وجود شبكة إنترنت بمواصفات تستوفي شروط ايصال المعلومات مباشرة وفي وقت واحد لعدد كبير من حواسيب الطلبة سواء أكانت تلك المعلومات

1. https://futurism.com/heres-everything-you-need-to-know-about-elon-musks-humanai-brain-merge/amp/, *http://ibelieveinsci.com/?p=28802*
2. Ghirardini, 2011, p. 5.

على شكل فيديوهات بوضوح عال من ناحية الصورة والصوت، وكذلك عليها ان تستوفي التناقل الفوري للمعلومات بين الطرفين- الطالب والأستاذ- بهدف أن يكون التعلم والتعليم تفاعليين تماماً.

وهذه المواصفات لكل من الحاسوب وشبكة الإنترنت تمثل الشروط التقنية التي لا بدّ من توفرها حتى يمكن- تقديم مجموعة واسعة من الحلول- المتضمن في التعريف أعلاه.

وأما الغاية التي يهدف إليها التعليم الإفتراضي وبحسب التعريف فهي تمكين التعلم أساسا وتحسين أداء الطالب على الصعيد النظري باستيعاب المعلومات وفهمها جيداً وعلى الصعيد العملي عبر تطبيقها الفعلي.

ويتم تمكين التعلم للطالب الفرد إفتراضياً من خلال تواصله مع الأساتذة في كل انحاء العالم وكذلك مع الخبراء- مهندسين، أطباء وفنانين- في مواقع العمل ومع المفكرين في مكاتبهم أو حيثما يكونوا، إضافة للتواصل مع مئات بل آلاف من أقرانه الطلبة من جنسيات وخلفيات مختلفة.

إضافة لذلك، تتم الإستفادة من المكتبات الإفتراضية التي تحوي ملايين المصادر لمختلف صنوف المعرفة العامة والمتخصصة، وكذلك تتمَّ الإستفادة من برامج المحاكاة بما فيها برامج المحاكاة المجسمة 3d في حل المسائل المعقدة أو في تطبيق ما يتعلمه الطالب عمليا سواء بصورة فردية أو بالإستفادة من تجارب الآخرين الواقعية.

ولا يقتصر- تحسين الأداء- على فقط الطالب، بل أن الأستاذ له نصيب من ذلك أيضا حيث أن كل منهما يحصل على خبرات ممتازة ترتقي بأدائه إلى درجة التفوق وبأقصر فترة زمنية وإستفادة الإستاد تكون من خلال توسعة مداركه وخبراته في تحديث وايصال المعلومة الى طلبته وهناك عدة نماذج وتصانيف معتمدة تختص بتحسين الأداء وأهمها ما يسمى بتصنيف بلوم.

وبلوم هو تصنيف لمستويات الأهداف الدراسية التي يضعها المدرسون لطلابهم، وأول من صنف هذه الأهداف كان عالم علم النفس التربوي في جامعة شيكاغو بنجامين بلوم عام ١٩٥٦ وبتصنيفه، قسم الأهداف إلى ثلاثة نطاقات: الإدراكي[1]، السلوكيات[2]، الحركي النفسي[3].

وهذا التصنيف هو هيكلي أو هرمي بمعنى أن تعلم معرفة في مستوى أعلى يعتمد على إكتساب معرفة أو مهارة في مستوى أدنى منها وكان هدف بلوم من طرح هذا التصنيف تشجيع المدرسين على التركيز على النطاقات الثلاثة من أجل خلق نظام تعليمي شمولي.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

1. Cognitive
2. Affective
3. Psychomotor

الصورة التالية توضح تصنيف بلوم القديم والمعدل[1] في النطاق الإدراكي فقط:

مميزات التعليم الإفتراضي

هناك العديد من المميزات لهذا النوع من التعليم من أهمها:

١. زيادة فرص الإتصال بين المتعلمين فيما بينهم وبينهم وبين معلميهم وذلك لتوفر وسهولة الإتصال بين هذه الأطراف بطرق متعددة مثل الصفوف التفاعلية، مجالس النقاش، البريد الإلكتروني، غرف الحوار ولا شك أن هذه الميزة تحفز المتعلمين أكثر على المشاركة والتفاعل مع المواضيع المطروحة.

1. *https://ar.wikipedia.org/wiki/*

٢. جمع عقول الآخرين إلى عقل الطالب

إن المنتديات الفورية مثل مجالس النقاش وغرف الحوار تتيح فرص التبادل لوجهات النظر في المواضيع التعليمية، مما يزيد فرص الإستفادة من الآراء والمقترحات المطروحة ودمجها مع الآراء التي كونّها المتعلم، هذه الميزة تساعد المتعلم على تكوين أسس متينة للمعلومات التي اكتسبها بحيث تتحول من مرحلة كونها مجرد معلومات إلى معرفة متناسقة ومنسجمة تستند على آراء قوية وسديدة اكتسبها من خلال المناقشة والحوار مع الآخرين.

٣. الإحساس بالمساواة

تسمح أدوات الإتصال المفتوحة والمتعددة لكل متعلم فرصة الإدلاء برأيه أو الإستفسار في أي وقت ودون حرج حيث يمكنه إرسال رأيه وصوته من خلال أدوات الإتصال المتاحة داخل الصف التفاعلي أو خارجه عن طريق البريد الإلكتروني ومجالس النقاش وغرف الحوار، وغيرها، هذه الميزة تكون محدودة في قاعات الدرس التقليدية، لأسباب متعددة منها عدم توفر الوقت والوسائل المتناسبة لتواصل جميع المتعلمين في الصف التقليدي أو سوء تنظيم المقاعد أو الخوف والخجل أو غيرها، ولقد أثبتت الدراسات أن الحوار الإلكتروني يساعد ويحث المتعلمين على تخطي عوامل الخوف والخجل والمواجهة بشكل أكبر وبالتالي في تحسين أداءهم على المستوى النظري والعملي.

٤. السهولة والمرونة في التعلم (في أي وقت وأي مكان)

أتاح التعليم الإلكتروني سهولة كبيرة في تنظيم أوقات التعلم ومكانه بحسب الحاجات الفردية وكذلك الحصول على المعلم والوصول إليه في أسرع وقت وذلك خارج أوقات العمل الرسمية لأن المتدرب أصبح

بمقدوره أن يرسل استفساراته للمعلم من خلال البريد الإلكتروني وهذه الميزة مفيدة وملائمة للمعلم أيضاً حيث يكون له حرية الإنتقال إلى أي مكان دون أن ينقطع عن مهامه، هذه الميزة أتاحت التعليم للجميع وخاصة لأولئك الذين تتعارض ظروفهم الشخصية مع أوقات التعليم التقليدي أو الذين لا يمكنهم الإنتقال إلى موقع التعليم لأي سبب.

٥. تنوع أساليب التدريس بحسب الحاجات الفردية

من الممكن تلقي المادة العلمية بالطريقة التي تناسب المتعلم حيث إن منهم من تناسبه الطريقة المرئية ومنهم تناسبه الطريقة المسموعة أو المقروءة وآخرين تناسبهم الطريقة العملية، فالتعليم الإلكتروني ومصادره تتيح إمكانية تطبيق المصادر بطرق مختلفة وعديدة تسمح بالتحوير وفقا للطريقة المناسبة للمتعلم.

٦. ملائمة مختلف المستويات (للمتعلمين)

التعليم الإفتراضي يتيح للمتعلم أن يركز على الأفكار المهمة أثناء متابعته للدرس وكذلك يتيح للمتعلمين الذين يعانون من صعوبة التركيز وتنظيم المهام الإستفادة من المادة وذلك لأنها تكون مرتبة ومنسقة بصورة سهلة وجيدة والعناصر المهمة فيها محددة كما أن هناك مساعدة إضافية للمتعلمين بطيئين التركيز بواسطة التكرار، وكذلك يمكنهم الإستفادة من هذه الميزة عند الإستعداد لإمتحان معين.

٧. توفر المواد والمصادر التعليمية طوال الوقت

هذه الميزة مفيدة للأشخاص المزاجيين أو الذين يرغبون التعليم في وقت معين، وذلك لأن بعضهم يفضل التعلم صباحاً والآخر مساءاً كذلك للذين يتحملون أعباء ومسئوليات شخصية فهذه الميزة تتيح للجميع التعلم والبحث والرجوع للمصادر في الزمن الذي يناسبهم،

إن الإستمرارية في الوصول إلى هذه المواد والمصادر التعليمية تجعل الطالب في حالة استقرار ذلك أن بإمكانه الحصول على المعلومة التي يريدها في الوقت الذي يناسبه ما يجعله يركز على الأهداف التعليمية بصورة سليمة بدون تعارض في الأولويات.

٨. سهولة وتعدد طرق تقييم تحصيل المتعلمين

إن أدوات التقييم الفوري في التعليم الإفتراضي وفرّت للمعلم طرق متنوعة وسهلة لبناء وتوزيع وتصنيف المعلومات للقيام بمهمة التقييم بصورة سريعة وسهلة.

٩. الإستفادة القصوى من الزمن

إن توفير عنصر الزمن مفيد وهام جدا للطرفين المعلم والمتعلم، فالمتعلم لديه إمكانية الوصول الفوري للمعلومة في المكان والزمان المحدد، وبالتالي لا يوجد وقت ضائع للانتقال من البيت إلى قاعات الدرس أو المكتبة أو مكتب المعلم والأمر ينطبق على المعلم سواء في تقديم الدرس أو في الإجابة على الإستفسارات عبر الإتصال الفوري.

١٠. تقليل الأعباء الإدارية بالنسبة للمعلم

يؤدى التعليم الإفتراضي إلى تقليل الأعباء الإدارية التي كانت تأخذ من المعلم وقت كبير مثل استلام الواجبات والتصحيح وغيرها حيث أصبح بإمكانه الإستفادة من الأدوات الإلكترونية لتقليل الوقت والجهد والإستفادة من وقته في تطوير أساليبه التعليمية وجعلها أكثر إبداعا.

١١. تقليل حجم العمل على الهيئة الإدارية التعليمية

التعليم الإفتراضي بتوفيره لأدوات تقوم بتحليل الدرجات والنتائج والإختبارات والإحصائيات والأرشفة وغيرها قد وفر الكثير من الوقت والجهد الذي كان يهدّر على أعمال روتينية حيث أصبحت الإدارة التعليمية أكثر متفرغة لوضع خطط التحسين والتطوير الأكثر أهمية ولتنفيذ خطط التنمية الأكثر ابداعا.[١]

---

١. راجع مصطفى يوسف كافي: «التعليم الإلكتروني والإقتصاد المعرفي»، ٢٠٠٩.

أهمية التعليم الإفتراضي في مجال العلوم الدينية

لا تختلف العلوم الدينية عن باقي المجالات التعليمية في إمكانية الإستفادة من الفرص والمميزات العديدة التي يقدمها التعليم الإفتراضي، ولكن هذه الورقة تفترض أن هناك عوامل تجعل التعليم الإفتراضي في مجال العلوم الدينية ضرورة لا مناص منها، بل وتفوق ضرورته في مجال العلوم الدينية أي علم آخر في هذا العصر، وفيما يأتي تحليل لهذه العوامل مع بيان الأسباب التي تربط كل عامل بالتعليم الإفتراضي:

١. التحديات التي تواجه التعليم الديني

إن المادة الدراسية لا بدّ أن تتصف بكونها حقيقية، وواضحة لكي يتمَّ التسليم لها والإقتناع بها، وإذا كانت كذلك فإن النتيجة ستكون متعلما متمكنا من المادة نظريا وقادرا على تطبيقها في مسيرته الحياتية.

ولما كان التعليم الإفتراضي يتوجه إلى مجاميع كبيرة، بل وهائلة من المتعلمين بخلاف التعليم التقليدي الذي يقتصر على مجموعة قليلة مختارة منهم فيمكن تخيل مدى الأثر العاجل الذي ستتركه المادة الدراسية الواضحة والحقيقية على المجتمع ككل.

من هذا المنطلق فلا بدّ أن تقدم الجامعة الإفتراضية الإسلامية منهجا علميا يتصف بالمصداقية في عمق جزئياته كي تكون قادرة على تخريج أجيال عصية على الإختراق من قبل الفكر المناوئ وخاصة الفكر الإلحادي في موجته الكاسحة الجديدة.

وكمثال على ذلك فإن أحد مخرجات الفكر العلماني- الآتي من الشرق- هو زعمه بتاريخانية الإسلام والقرآن.

إن المنظر الرائد لهذه الفكرة التي تروج إلى بشرية الدين الإسلامي ودستوره القرآن الكريم، الأستاذ في جامعة السوربون الجزائري محمد آركون- مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ من أصل جزائري- وتلامذته، وهذا المشروع الآركوني أضحى أحد اهتمامات الشبيبة العربية والإسلامية ومثارا للعديد من الأسئلة والشبهات، وكذلك أفرز نتاجا متولدا منه كنتاج محمد عابد الجابري- مفكر وفيلسوف عربي من المغرب- في مؤلفاته عن نقد العقل العربي.

للأسف الشديد فإن الرد الانفعالي على هذا المشروع والقائم على الصد والتكفير لم يؤد إلا لإزدياد الموجة إنتشارا لأن الفكر لا يُرد إلا بفكر آخر لا بردود فعل وبيانات تكفير، فما ينبغي عمله في مثل هذه الحالات هو توفير المعرفة الصادقة التي تفند ما يهدف إليه المشروع ومثل هذه المعرفة ترتكز من جهة على ملاحقة معلومات هذا المشروع وإظهار واقعها، ومن جهة ثانية على ملاحقة المعلومات الرادة على هذا المشروع وإظهار واقعها أيضا.

ومثال آخر أخطر يتعلق بالفكر الإلحادي المنتشر حاليا على نطاق أوسع داخل المجتمعات الإسلامية وخاصة المنفتحة فكريا وبدون ضوابط كما في العراق ولبنان.

إن أهم رواد هذا الفكر الإلحادي الجديد في عالمنا المعاصر هو العالم المتخصص في علم البايلوجيا كلينتون ريتشارد داوكنز- عالم سلوك حيوان وعالم أحياء تطوري وكاتب- وزميله الفيزيائي المتخصص في علم الكونيات لورنس كراوس- فيزيائي وفلكي ومؤسس ل"مشروع الأصول[1] في جامعة أريزونا ويعتبر الكتاب الإلحادي (وهم الإله) لداوكنز أحد أكثر الكتب إنتشارا.

ومن المؤسف أن يكون لمثل هذا الكتاب تأثيرا آخذ بالإزدياد في المجتمع المسلم، خصوصا وأن هناك من يروج لهذا الفكر بقوة ويجتهد في ترجمة الكتب الإلحادية والمحاضرات والفيديوهات المتصلة أولا بأول إلى اللغة العربية ومن ثم نشرها على الإنترنت لتكون في متناول الجميع.

إن موجة الفكر الإلحادية الجديدة لا تدعو إلى إنكار الخالق عز وجل ضرورة ولكنها على أي حال تدعي قصور الدين في فقهه وعقائده عن اظهار عظمته كما هي مشاهدة الآن، ولهذا يسمي داوكنز الخالق بالمصمم الذكي دلالة على لا نهائية الإبداع في هذا الخلق العجيب، ومن خلال هذه الخدعة يتسرب مثل هذا الفكر الإلحادي تدريجيا إلى عقول من يرفض إنكار بديهية وجود الخالق.

---

1. The Origins Project

ولهذا فإن إثبات متانة الأساس العقائدي للدين الإسلامي في قبال المشككين به لا تعني إثبات وجود الخالق، بل أساسا إثبات متانة ما ينطوي تحته من فقه وتشريع وأسلوب حياة.

والسؤال الموجه هنا:

- هل لدينا القدرة نظريا وعمليا على إظهار تلك المتانة لتصل إلى عقول المسلمين وخصوصا الشباب منهم؟
- وما هي الأساليب التي تمكن مثل هذا الإظهار ليمتد في عقول ملايين المسلمين المعرضين لهذه الهجمات المشككة بدينهم؟

إن الجواب عن الشق- النظري- قد لا يقتضي أكثر من أمرين سبق الإشارة إليهما، أي:

- ضرورة دراسة الفكر الإلحادي عميقا منهجا ونتاجا، تأتي مشروعية هذه الضرورة منطقيا من حقيقة أنك لا يمكنك أن تجابه التحديات دون أن تعرفها.
- الفهم الصحيح للإسلام قرآنا وسنة من أجل الجواب الحقيقي الصادق على تشكيكات الفكر الالحادي، منطقيا فلن تكون لك القدرة على المجابهة من دون سلاح قوي وتعرف كيف تستخدمه.

ولكن من الناحية العملية فإن ذلك لا يكفي بالطبع فالمهم هو القدرة- نظريا وعمليا- على توصيل هذه المعرفة إلى عقول الملايين من الشباب المعرضين لهذه الهجمات العلمانية والإلحادية وهنا يكمن التحدي الأساسي.

هذه الورقة تفترض أن التعليم الإفتراضي يمثل مفتاح أساسي لمعالجة هذا التحدي في شقيه النظري والعملي ويتم تحليل ذلك في الآتي:

إن التعليم الإفتراضي قد اجتذب آلاف الباحثين والمؤلفين الذين عملوا على انتاج دراسات قيمة في مجال الأساليب التفاعلية الأكثر فعالية في إيصال أي معلومة للملايين المتعلمين وذلك من خلال الإستفادة من آخر ما انتجته التكنولوجيا الرقمية من جانب والأساليب التعليمية القائمة على الدراسات السيكولوجية والتربوية من جانب آخر.

لقد تم تطبيق أفضل هذه الأساليب في منصات التعليم الإفتراضي العالمية، ولهذا فإن الجانب النظري يكمن في دراسة هذا النتاج المعرفي الهام بعمق ومن ثم تطويره وتسخيره لخدمة مجال التعليم الديني الإفتراضي وتحقيق أهدافه.

وأما الجانب العملي فيكمن في التطبيق الفعلي لهذه الدراسات في منصات تعليم افتراضية للعلوم الدينية بأفضل تقنيات وأساليب التعليم الإفتراضية التي انتجتها مجموع العقول البشرية.

على أن النجاح في توفير منصات التعليم الديني الإفتراضي بهذه المقاييس المتطورة لن يعني كسب التحدي نفسه حيث سيبقى التحدي الأساسي ماثلا في كسر الحاجز بين عموم الشباب وبين منصات التعليم الإفتراضي الدينية، خصوصا أولئك الشباب الذين تغلغلت فتن وشبهات الملاحدة والعلمانيين في عقولهم ولا بدّ من دراسة سبل كسر هذا الحاجز أولا لكي يتحقق الهدف التام من هذه المنصات.

- فما هو السبيل لذلك؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، لا بدّ من أن نتناول تحدٍ آخر هو في واقعه يمثل أساس الفجوة القائمة بين فئة الشباب المتعلمين والدين والتي أدت إلى تغلغل التيارات اللا دينية في أوساطهم، وهي شبهة العلاقة بين الدين والعلم.

شبهة العلاقة بين الدين والعلم

هذه المسألة كثر النقاش حولها وانقسم الباحثون عموما الى جهتين فيما يخصها حسب وجهة نظر كل باحث:

١. قسم يراها علاقة متناقضة، ٢. وقسم يراها متوافقة،

٣. وقسم يرى أن لا علاقة بين الإثنين منهجيا.

والمؤلفات والمقالات بهذا الصدد كثيرة، وعلى الرغم من نشأة هذه الفكرة في أحضان الغرب المسيحي بعد عصور الظلام إلا أنها صُدرت إلى المسلمين وتلقفها البعض وحاولوا اسقاطها ولو بصورة قسرية على التعاليم الإسلامية ومصدرها القرآن.

فالذين يقولون بتناقض هذه العلاقة يركزون على تناقض المعلومة القرآنية مع المعلومة العلمية، ولأن المعلومة العلمية تكون أحيانا قطعية ولا شك فيها فإن من الواجب طرح المعلومة القرآنية ما يستلزم الشك بالقرآن الكريم ككتاب سماوي، ومن هنا تأتي الشبهات الكثيرة للملاحدة والمشككين.

أما الذين يرون التوافق بين الدين والعلم فيركزون على بعض الآيات التي تتوافق مع ما هو بديهي من العلم وربما نجدُ منهم من يحاول التوفيق بين النظريات العلمية وبين القرآن الكريم أو حتى المجازفة باستخراج نظريات من داخل النص القرآني.

وأما الذين يرون التغاير المنهجي بين الدين والعلم فهم يؤكدون على أن لكل واحد منهما موضوعه المستقل عن الآخر وأن القرآن بالأساس كتاب هداية وليس كتاب علم أو تاريخ مثلا.

والواقع أن هذا الموضوع العقائدي المهم كان ولا زال مدخلا للشبهات الكثيرة التي تستلزم منهجية حقيقية وواضحة ومحددة لدحضها وعلى الرغم من أن بعض النخب المفكرة المسلمة اتجهت إلى دراسة نظرية المعرفة وفق الصياغات الحديثة وإلى التوفر على فهم عميق لعمليات التفكيك المعرفي والتي تُستغلُّ لإثارة مثل هذه الشبهات، وبالتالي إبهار عقول الشباب بالإتجاهات اللا دينية- التي تسمى نفسها بالعلمانية تمييزا وتفريقا بين الدين والعلم- فإن هذا الأمر لا يبدو كافيا ومؤثرا فعليا في إلغاء أثر الشبهة على عقول الشباب، وذلك لسببين أساسيين:

١. إن أساليب نقل المعلومة الدينية ما زالت محصورة في إطارها الضيق التقليدي ما يحجبها عن الوصول إلى عموم الشباب البعيد أساساً عن هذا الإطار.
٢. إن أسلوب نقل المعلومة نفسه ولكي يكون فعالا فإنه يجب أن يتناسب مع محتوى المعلومة، ولهذا فإن الأسلوب الفعال في نقل محتوى «لا تنافي بين العلم والدين» أو «أن الدين يحث على العلم» هو في إستخدام أسلوب يعكس عدم التنافي والبحث أو بمعنى آخر أن يتم الإستفادة من أحدث الأساليب العلمية في نشر مثل هذه المعلومة.

هذه الورقة تطرح التعليم الإفتراضي مجددا كوسيلة فعالة لعلاج هذين السببين ما يؤكد ضرورته القصوى مجددا في مجال التعليم الديني في هذا العصر، ولكن حتى يكون العلاج فعالا لا بدّ من الإلتزام بجملةٌ من التوصيات لكسر الحاجز الذي خلقته هذه الشبهات في عقول الشباب، ومنها:

١. توحيد الخطاب المعرفي الديني عبر منهجية مسألة من النص القرآني، وهنا من الممكن اعتماد صياغات المنهجية العلمية المتفق عليها في إطار البحث العلمي.

والأساس المنطقي لسبب هذا الإعتماد هو في توافق خلق الله مع كلام الله وإذ إن خلق الله كما نراه الآن هو عبارة عن نظام كلي محكم، فإن كلام الله- القرآن الكريم- لا بدّ وأن يكون نظام كليّ محكم، ولما كانت المنهجية العلمية قائمة على فكرة النظام وتم من خلالها استكشاف نظام الخلق فهي إذن نفسها ما ينبغي اعتماده في استكشاف نظام الكلام.

إن التوصل الى هكذا منهجية تخلص النص القرآني الشريف من التفسير الذوقي- التفسير بالرأي- الذي هو سمة التفسير العام وكذلك تخلصه من التفسير الإحتمالي المتعدد الذي لا يقف على أرضية ثابتة ومحددة، وبكلمة فالمطلوب هو ما ذكرناه من لزوم كون المنهجية حقيقية صادقة.

٢. دراسة الفكر الإلحادي بتعمق والرد عليه بموضوعية بعيدة عن الإتهام والتكفير، هذا يعني ضرورة الإطلاع على العلم الحديث وفلسفته التي يستند عليها الإلحاد المعاصر وعلى ضوء تلك الدراسة تصاغُ الأجوبة الداحضة لإشكالات وشبهات هذا العلم سواء على صعيد الحفر التاريخي او على صعيد الكشوف العلمية.

٣. تخريج دعاة مقتدرين ومتوفرين على الكلام بلغتين على الأقل أحدهما اللغة الإنجليزية بإعتبار عالميتها حاليا.

٤. لا بدّ من تحديث المنبر الإسلامي ليكون منبرا تفاعليا بدلا من أن يكون منبرا لطرف واحد فقط هو المتكلم الخطيب.
٥. ينبغي اعتماد المناهج الدراسية التي تعمق من ارتباط الطالب بدينه وعدم فصلها بطريقة فصل الدين عن السياسة.
٦. من الضروري أن لا تكتفي الجامعات الإسلامية بالدراسات الإسلامية فقط، بل لا بد من تطويرها لتكون شاملة لكل الدراسات العلمية والإنسانية الأخرى مع ربطها الصحيح بالقرآن الكريم والسنة الشريفة.
٧. وأخيراً يأتي التعليم الإفتراضي كمنصة جامعة تحقق الهدف النهائي ليكون أكثر الوسائل تأثيرا لما يوفره من إمكانية الإنتشار الواسع والحضور التفاعلي والتبادل المعرفي واسع النطاق، إضافة لباقي مميزاته التي سبق ذكرها.

دور المجتمع العلمي الديني

لهذا المجتمع أهمية بالغة في إعداد الكادر الفاعل على مستوى الفقه أو التفسير أو الخطابة أو حتى الدروس العلمية الحديثة كما أن لهذا المجتمع تأثيرا قويا على بناء عقلية ووجدان المجتمع بما يتوافق وغايات دين الله وأهدافه.

ولذا فمن المهم الآن إخراج الحوزات العلمية وحلقاتها الدراسية العامة والمتخصصة وكذلك المؤسسات الأكاديمية الى خارج جدران المساجد والمصليات وذلك عبر الفضاء الإفتراضي من أجل توفير المعلومة الصحيحة للعدد الكبير من الطلبة الشغوفين الذين لا تتاح لهم فرصة الحضور الى الحوزات او المؤسسات الأكاديمية.

وهذا يعني ضرورة انتقاء حلقات دراسية لمدرسين مميزين شاملة للمناقشات التي تجري أثنائها بين الطلبة والأستاذ ثم إنتاجها بطريقة إحترافية وملفتة كما يعني أيضا ضرورة توفير كادر تخصصي قادر على نقلها الى ذلك الفضاء بأمثل صورة ممكنة مع التحديث المستمر للحلقات الدراسية ولصورة النقل.

عدّا عن ذلك وهو الأهم لا بدّ من التنويه إلى أن تمكين هذا المجتمع بوسائل التعليم الإفتراضية توفر فرص هائلة لفعالية أكبر في مجالات التبليغ الديني على مختلف المستويات وبشتى الطرق المتاحة لأن المسلم ينطلق في القيام بذلك من منطلق احساسه بالتكليف الشرعي وهذا ما لا يتوفر في أي منصة أخرى للتعليم الأفتراضي (خارج التعليم الديني).

هذا يعني أن التعليم الإفتراضي الديني قادر على تحقيق أكبر انجاز على مستوى التعليم الإفتراضي لأن نتائجه لا تتحقق فقط من خلال المنتسبين إليه مباشرة بل من خلال فاعلية هؤلاء المنتسبين خارج إطار منصة التعليم الإفتراضي، وهذا الأثر الفعال- غير المباشر- للتعليم الإفتراضي الديني يعتبر من أهم الخصوصيات التي يمتاز بها التعليم الديني الإفتراضي عن غيره ويتطلب رعاية وتخطيط والتزام على أعلى المستويات من القيادات الإسلامية الملتزمة بهذا الهدف التبليغي.

مبادئ التعليم الإفتراضي الفعال

في عام ١٩٨٧ قام كل من آرثر تشيكرنغ وزيلدا غامسون- باحث تربوي متخصص في شؤون الطلاب معروف بمساهمته في نظريات تطوير التعليم- بتعريف المبادئ السبعة للممارسة التدريسية السليمة للتعليم الجامعي[1] وهذه المبادئ تعتبر اليوم المرجع الأساسي لتوصيف العلاقة المثلى بين المتعلمين والمعلمين والتي تؤدي الى نقل المعرفة وتبادلها بشكل نشط ومستمر وفعال وهي تصلح بشكل تام حال استخدام تكنولوجيا الإنترنت خاصة، وملخصها الآتي:[2]

1. Seven Principles for Good Practice in Undergraduate Education
2. *http://www.lonestar.edu/multimedia/sevenprinciples.pdf*

١. تشجيع التواصل بين الطلبة والكلية[1]

وهذا التواصل يتم من خلال بشكل فاعل من خلال شبكة الإنترنت سواء أكان متزامنا كما في حال الحوار المباشر في الجلسات الإدارية عبر بعض البرامج المتخصصة كبرنامج الأدوبي كونكت أو عبر الواتساب أو التلكرام وسواها من البرمجيات القادرة على تقديم خدمة التواصل المباشر لأقصى مدى أو قد يكون التواصل غير متزامن كما في حالة البريد الإلكتروني او المحاضرات والدروس المسجلة من خلال نظام إدارة التعليم LMS.

هذا التواصل متعدد الأطراف إذ ممكن أن يكون بين الطلبة والكادر التدريسي وبين الطلبة أنفسهم من داخل وخارج الكلية وبينهم وبين الخبراء ذوي الصلة بالدرس المعني خارج كلياتهم.

٢. تطوير التعامل والتعاون بين المتعلمين[2]

ويتحقق ذلك من خلال تعاون الطلبة على تحقيق المشاريع العلمية بشكل جماعي عبر الوسائل الإلكترونية مثل نظام إدارة التعليم في جامعة المصطفى[9] العالمية أو في المنصات التعليمية العالمية.

هذا الأمر يثير فاعلية التعلم لديهم وحس الإندفاع والتنافس على تقديم الحلول بدلا من الركود في التعليم التقليدي القائم على مجرد تلقين المواد الدراسية بشكل ممل.

٣. تشجيع التعلم النشط[3]

التعلم النشط هو مجموعة تقنيات هادفة الى تفعيل حس التعلم لدى الطالب من خلال اشراك الطلبة في عملية التعلم والتفكير وتطبيق ما يتعلمونه بشكل جماعي

---

1. Encourages Contact between Students and Faculty
2. Develops Reciprocity and Cooperation Among Students
3. Encourages Active Learning

وتوجد بحدود ٢٥٠ تقنية تفاعلية أعدها الدكتور كيفن يي[١] يمكن استخدامها في التعليم النشط منها ما يتعلق بالطالب ومنها ما يتعلق بالمدرس وإختيارها يقع على عاتق المدرس نفسه بحسب ما يراه مناسبا.

وهذه نماذج منه:

١. إستخدام المناقشات بين جميع من في الصف وخاصة إن كان عبر الإنترنت.
٢. تبادل الأدوار بين الطلبة والأساتذة بما يسمح للطلبة بتدريس جزء من المادة قيد الدرس.
٣. قيام الطلبة بتحضير مساق دراسي.
٤. جعل الطلبة يقومون بعمل مسابقات تتعلق بالدرس عبر الإنترنت.
٥. تقديم الطلبة لملخصات ومناقشاتها ومقارنتها فيما بينهم تحت توجيه الأستاذ.

ولمزيد من الاطلاع على تقنيات يمكن مراجعة ملحق هذا البحث.

٤. تقديم التغذية الراجعة الفورية[٢]

تقنيا تتضمن هذه الإختبارات الإلكترونية القصيرة والتعليقات الفورية حال الدرس من الطرفين: الطالب والأستاذ وأيضا التعليقات السمعية وأيضا الإجابة الجزئية أو الكلية على بعض الأسئلة من أجل أن يأخذ فهم الطالب للمادة أو السؤال مساره الكامل.

٥. التأكيد على الوقت حال تنفيذ المهام[٣]

من أمثلة التقنيات التي توفر الوقت هو الإشعارات الإلكترونية داخل المساق الدراسي الإفتراضي او التذكيرات عبر البريد الإلكتروني وأيضاً تقنيات معايير التقييم لمستوى الطالب.

---

١. د. كيفن يي هو مدير أكاديمية التعليم المميز في جامعة جنوب فلوريدا وملخص سيرته موجود في الرابط أدناه:
http://www.usf.edu/atle/about-us/kevin-yee.aspx

2. Gives Prompt Feedback

3. Emphasizes Time on Task

٦. الإبلاغ عن توقعات عالية[1]

هذا المبدأ ينص على ضرورة تحفيز الطلبة على تحدي المهام والواجبات الصعبة من خلال إعطاءهم الوعود الصادقة بأن إنجازاتهم سيتم الإهتمام بها وسيتم مكافأتهم عليها ماديا ومعنويا.

مثال: يمكن أن تحفز الطلبة على تطوير بحث ما أو مقال ما قدموه سلفا بتوقع أنه سينشر في مجلة عالمية أو دورية مشهورة ما يعطيهم الدافع القوي للتطوير.

٧. احترام المواهب وطرائق التعليم[2]

هناك طرائق متنوعة للتعليم قد ينتقيها الطلبة الأذكياء وربما يصعب تطبيقها من قبل الكادر التدريسي.

مثال على ذلك أجراء التجارب في الواقع الإفتراضي- المحاكاة- أو عمل فيديوهات تتعلق بالمادة قيد الدرس أو تنظيم المادة الدراسية بشكل أفضل مما موجود بإستخدام أحدث التقنيات وإحترام كل هذا النشاط يعني رعاية المواهب وتشجيعها وتحفيزها.

نموذج التعليم الإفتراضي الفعال

إن أحد أفضل الأمثلة التطبيقية على التعليم الإفتراضي الفعال التي تحدّث دائما من أجل تحقيق شروط التعليم الفعال الآنفة هي منصات edx و Courser،[3] فنظرة خاطفة على بعض المساقات مثل مساق Introduction to Computer Science[4] أو مساق العدالة Justice[5] تظهر مدى إستجابة المساقين الى شروط التعليم الفعال سواء أكان افتراضيا أم حضوريا أم مدمجا.

---

1. Communicates High Expectations

2. Respects Diverse Talents and Ways of Learning

3. *www.coursera.org*

4. *https://www.edx.org/course/introduction-computer-science-harvardx-cs50x*

5. *https://www.edx.org/course/justice-harvardx-er22-1x-1, http://www.shamsunalarabia.org/php/coursedetails.php?courseID=21*

ويمكن ملاحظة الطريقة التحفيزية الرائعة في المساقين من خلال تحويل المحاضرة الى مادة مسرحية يتفاعل فيها الطرفان:

- الأستاذ وطلبته من خلال المناقشات والإعتراضات،
- ومن خلال عرض المادة على وسيلة إلكترونية،
- ومن خلال نزول الأستاذ الى مكان جلوس الطلبة أو صعود الطلبة الى المسرح،
- ومن خلال الإستفتاءات التي يجريها الأستاذ لمعرفة موقف الطلبة من مسألة ما ثم الإختيار العشوائي لبعضهم من أجل أن يشرحوا سبب موقفهم،
- ومن خلال المناقشات بين أطراف المواقف المتعارضة،
- وكذلك من خلال استخدام اللوح الإلكتروني التفاعلي.

ولا تخفى أيضا طريقة الإلقاء الكارزيمية للأستاذ والأثر الذي تتركه عفويته في طرح المادة وثقته بنفسه وتمكنه من المادة العلمية وأساليب التعليم المختلفة على المتعلمين من شدة استقبالهم وتفاعلهم مع المعلومة، ويمكن ملاحظة العديد من تقنيات التعليم النشط متحققة في هذين المساقين المنقولين مباشرة من قاعات جامعة هارفرد في اميركا.

من خلال مراقبة النماذج المختلفة لما تقدمه هاتين المنصتين من الدروس الإفتراضية يمكن أن نلمح أهم الفوارق بين التعليم الإفتراضي والتعليم الحضوري التقليدي، والتي نلخصها في الجدول الآتي:

التعليم الإفتراضي	التعليم التقليدي
منهجيا فإنه يركز على المتعلم بإعتباره هدف التعليم لا على المعلم	منهجيا فتركيزه غالبا على المعلم بإعتبار أن له الدور الأول في التعليم
يركز على هدف التعليم الذي هو استيعاب وفهم وهضم المادة التعليمية بشكل تام	يركّز على المحتوى (حفظا بالأساس) بصرف النظر عن ضمان فهمه كاملا

تتعدد التقنيات للتعليم النشط فيه الى عشرات التقنيات الإبداعية المحفزة للطلبة	لا تتجاوز التقنيات فيه بضعة طرائق الصور التوضيحية والإحالات إلى بعض المصادر والإلقاء غير الملفت غالبا
امكانية إختبار الطلبة جميعا في أي وقت ولأي مادة مع إستحصال الإجابة الفورية منهم	إمكانية الإختبار محدودة لبعض الطلبة غالبا والإختبارات النهائية تتطلب وقتا كبيرا للإجابة والتقييم
التعليم الإفتراضي الجيد هو تعليم تحفيزي لكثرة وسائل النشاط فيه	التعليم التقليدي غالبا ما يكون مملا ومنفرا مهما كان جيدا
التعليم الإفتراضي يوسع من التفاصيل المتاحة للدروس من حيث كثرة الأسئلة وإمكانية الإجابة الجزئية أو الكلية عليها في أي لحظة	لا يقدم سوى المادة الملزمة أسئلة نهاية الفصل أو الأسئلة العامة دون أي مساعدات لإستراتيجيات الحلول لها
التعليم الإفتراضي هو تعليم تفاعلي متزامن أو غير متزامن بين كل الطلبة وبينهم وبين الأساتذة	بالكاد أن يكون هناك تعليم تفاعلي في الصف التقليدي
الكادر التدريسي في التعليم الإفتراضي يتجاوز معلمي المدرسة الى أقرانهم في كل مدارس أو جامعات العالم	هذه الميزة لا تتوفر في التعليم التقليدي إلا نادرا جدا
التعليم الإفتراضي لا يحتاج الى مرفقات مادية كثيرة هو لا يحتاج الى صفوف وقاعات ومختبرات ووسائل نقل ميكانيكية، وما اليه	لا بدّ من هذا الأمور في التعليم التقليدي
إمكانية اجراء التجارب كافة من خلال نظم المحاكاة التي بدأت تتواجد بكثرة كمواقع على الإنترنت وكذلك اجراء الإستبيانات على صعيد الدراسات الإنسانية مثلاً والإستفتاءات لبيان المواقف من موضوع ما، وكل ذلك بكلف إقتصادية	ذلك غير ممكن في التعليم التقليدي إذ نحتاج إلى مختبرات متنوعة ووسائل نقل ووسائل الاعلام كالصحافة والتلفاز واعلاناتها لعمل الإستبيانات والإستفتاءات أو حتى الخروج من اول الصباح الى آخر النهار لتوزيع اوراق الإستبيان او الإستفتاء
التعليم الإفتراضي هو تعليم حر وغير مكلف وفعال جدا مع التقدم في التقانة الإلكترونية وقادر على إنتاج اجيال من العقول القادرة على حل مشاكل العالم على كل صعيد	التعليم التقليدي هو تعليم مقيد ومكلف وغير فعال وقليل الإنتاجية

التعليم الإفتراضي الديني ونشر الدين الإسلامي الأصيل

إن الدعوة الى الله عز وجل هي من صميم واجبات الفرد المسلم، قال تعالى:

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّـهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[1].

وحيثُ أن سبل الدعوة الى الله معلومة للمسلمين بشكل عام من خلال النص القرآني والسنة الشريفة إلا أن التفسيرات الخاطئة لكل منهما انتجت إجتهادات لا تمس الدين الإسلامي بصلة وما الحركات التكفيرية التي تتسمى بالإسلام إلا نموذج واحد للأثر التراكمي لهذه التفسيرات الخاطئة على مر التاريخ، ولعكس أثر هذه التفسيرات الخاطئة التي تعكسها هذه الجماعات وتروج لها وسائل الاعلام على أنها إسلامية فإن مسؤولية ودور المبلغين والتربويين الذين يحملون على عاتقهم نشر الدين الإسلامي الأصيل تكون أكبر وأكثر خطرا.

إن ما نشهده الآن من تنوع كثير في وسائل التبليغ الإلكترونية وأهمها التعليم الديني الإفتراضي عبر المنصات الإنترنتية وعبر وسائل التواصل الإجتماعي كالفيسبوك وتويتر وواتساب وتلغرام وغيرها لا تمثل فقط تهديدا بسبب استغلالها السيء من قبل هذه الجماعات التكفيرية ومن يتعمد إستغلالهم لتشويه الدين الإسلامي، بل تمثل أيضا فرصا حقيقية للمبلغ التربوي الملتزم إذا قام بالإستفادة منها بالصورة السليمة والفعالة للتعريف والدعوة إلى الدين الإسلامي الأصيل.

وبالنسبة الى التعليم الإفتراضي أصبح من واجب المبلغ أن يتعلم كيفية إستخدام المنصات الإلكترونية ويتابع تحديثات الإستخدام وأن يطور نفسه من حيث الإستفادة من آليات التعليم التي توصل الفكرة بكل وضوح.

إضافة لذلك فعليه أن يتعلم لغة عالمية واحدة على الأقل ليتواصل مع الملايين من الذين يتكلمون بها وأن يتوفر على ثقافة واسعة بالأديان السابقة والنظريات الفلسفية والعلمية وتمكن تام وحافظة قوية ليستطيع الرد على أي إشكال أو سؤال يتعلق بالدين الإسلامي الحنيف.

١- فصلت، ٣٣.

وهنا أشير إلى أحد أشهر الأمثلة المؤثرة وهو الجنوب أفريقي أحمد ديدات ومن بعده الهندي د. ذاكر نايك الذين عمّت مناظراتهما العالم الإفتراضي وخاصة في منصة اليوتيوب، وللأسف أن لا نجد شخصيات لها نفس هذا التأثير العالمي من شخصيات تحمل همّ نشر الإسلام المحمدي[9] الأصيل في الجمهورية الإسلامية أو العراق أو لبنان رغم توفرها على حوزات علمية فاعلة.

من هنا فلا بدّ من ايلاء هذا الجانب أهمية بالغة وتحديث برامج إعداد المبلغين لتكون وافية للشروط العامة التي ذكرناها قبل قليل مضافة الى ما هو في صميم صفات المبلغ الناجح المتحلي بالصدق والورع ومزاوجة القول بالفعل.

التعليم الإفتراضي الديني (التحقيق والتمويل)

١- تحقيق وتطوير المنصة الإفتراضية للتعليم الديني

لكي يتحقق إنشاء منصة تعليمية إفتراضية فاعلة فلا بدّ من توفر عدة أمور مالية وتقنية وبشرية، وفي هذه الورقة البحثية المختصرة نكتفي بالإشارة إلى أهم المتطلبات بإيجاز:

- كادر تصميم وإشراف برمجي متخصص وخبير،
- معدات الكترونية تخصصية: حاسبات وبرمجيات وسواها،
- سيرفر للمنصة فيه كل المميزات اللازمة ومنها: الحماية المشددة، امكانية استرجاع المنصة حال تعرضها لأي هجوم أو تلف خلال فترة قصيرة، وجود نسخة إضافية من المنصة تعوض عن تلك التي تلفت لحين اصلاحها.
- وجود أساتذة يجمعون بين غزارة المحتوى وبين تقنيات تحويل المحتوى الى شكل تفاعلي.
- وجود إدارة خاصة للمنصة تعمل في مبنى مصمم بشكل تتوزع فيه المهام بين الموظفين بطريقة إحترافية.
- التحديث المستمر للمناهج وكافة المعدات والبرمجيات اللازمة.

وطبعاً الأمور التفصيلية لإنشاء المنصة تذكر مقدما في دراسة جدوى معتمدة وتوجد في الإنترنت مقالات عديدة عن اعداد دراسات الجدوى الخاصة بالتعليم الإفتراضي.

٢- تمويل إنشاء وإدارة المنصة الإفتراضية للتعليم الديني

لعل هناك عدة نماذج تعكس طرق تمويل مختلفة للمنصات التعليمية، ولكن أبسطها وأنجحها وأكثرها ملائمة لمنصة التعليم الديني الإفتراضي هي المنصات الإفتراضية العالمية مثل edx والتي تم انشائها إبتداء بتمويل من مؤسسات وجامعات كبرى ومن تبرعات لبعض الشخصيات الملياردیرية العالمية، ولكنها صممت بحيث تتمول لاحقا بشكل ذاتي.

وليتحقق هذا فإن التمويل يكون عبر بعض الوسائل:

- التبرعات من الآخرين عبر فتح حساب خاص بالجامعة في بنك او مجموعة بنوك من اجل تغطية التبرعات من أي بلد،
- أخذ نسبة من قيمة الشهادة التي يعطيها الموقع للطالب الذي اجتاز مساق ما بنجاح.

علما بأن الشهادات إختيارية بمعنى أن الطالب ليس بحاجة الى الدفع المسبق للشهادة كما أنها لا تعد من شروط الدخول للمساق- تتفاوت الشروط حسب رؤية مالكي المنصة المعنية- والشهادات غالبا ما تكون بأجور رمزية إلا في المساقات المطولة وذات التخصص العلمي الدقيق.

خاتمة وتوصيات

من خلال ما عرضناه في هذه الورقة البحثية يتبين أن التعليم الإفتراضي يمثل بيئة خصبة تفتح آفاق واسعة لتحقيق أهداف التعليم الديني ونشر قيم الدين الإسلامي الأصيل، ولهذا ينبغي الإستفادة الفاعلة منه عبر الدراسة الفعالة لكافة إنجازاته وتقنياته المتطورة وعبر تشكيل فريق عمل متخصص للبحث والتطوير في آخر ما يتوصل إليه من إمكانات وتقنيات ومن ثم التطوير بما يتناسب مع أهداف ومجالات التعليم الديني.

وإن النجاح في هذا الأمر لا يتحقق إلا من خلال دعم وتوجيه أعلى القيادات في المؤسسات الدينية والتعليمية للعمل على هذا الأمر بجد وإخلاص ووعي تام بأهميته وخطورته.

في خاتمة الدراسة نتوجه بهذه التوصيات العامة من أجل تطوير منصات التعليم الدينية الإفتراضية الناشئة في بلدانا الإسلامية والتي تحمل على كاهلها همّ نشر الدين الإسلامي الأصيل وذلك لجعلها بمصاف الجامعات العالمية الجاذبة التي تشدّ اهتمام الطلبة، وهي كالآتي:

١. التركيز على الشكل والمحتوى، حيث أن شكل المنصة الإفتراضية التعليمية يعدّ عامل جذب مهم للزوار ويعكس حرفية المؤسسة التعليمية ولذلك ينبغي الإهتمام بالتصميم وتغييره مرة كل عامين في الأقل،
٢. ضرورة إعداد المحاضرات بشكل جذاب وتفاعلي والإستفادة من طرق التعليم الفعالة التي ذكرنا نماذج عالمية لها، ولعل أسهل وأسرع الطرق للقيام بذلك هو إعداد محاضرات تفاعلية مستلة من القاعات الدراسية الفعالة والناجحة- الحضورية- مع عملية اخراج ومونتاج لائقة وجذابة،
٣. كما من الأفضل إعادة تحديث المحاضرات الدراسية دوريا (مع بداية كل سنة دراسية أو سنتين)،
٤. من المهم تحويل الأستاذ الجامعي أو الحوزوي التقليدي الى أستاذ بنكهة عصرية قادرة على توصيل المادة بشكل مثير للطلبة، وهذا يعني أنه لا بدّ من التطوير المستمر للأساتذة عبر دورات تخصصية وذلك من خلال التعاقد مع المعاهد ذات الصلة، إن أستاذا مميزا معنويا ومتمكنا دراسيا يعني طلبة بنفس هذه الصفات مستقبليا وبالتالي تقل الحاجة لهذه الدورات بعد بضع سنين،
٥. الإهتمام بالنواحي الفنية للمنصة بحيث تكون بيئة تعليم ثابتة ومستقرة نظرا للتأثير السلبي الكبير للمشاكل الفنية التي تسبب توقف المتعلم عن تعليمه، ولهذا ينبغي الحرص على توظيف فريق فني خبير أو التعاقد مع شركات تقنية خبيرة ومتخصصة بإدارة وحماية الموقع وحل المشاكل الفنية بصورة لحظية،

٦. ضرورة توفير كادر متفاعل مع المتعلمين من الجانب الإداري لحل اي مشكلة تواجههم بصورة لحظية،

٧. بما أن الدراسة في الجامعة الإفتراضية حرّة ولأجل أن تكون محققة لأهدافها التعليمية فمن الضروري أن يكون أسلوب التقييم للمتعلم متوافق مع المبادئ الفعالة وأهداف التعليم الديني على الخصوص ما يعني أنه يجب أن يكون هناك تقييم أكبر لنشاط المتعلم العلمي والتبليغي والسلوكي الذي يمكن رصده تعليميا وليس الإقتصار على الإختبارات النظرية والواجبات البيتية.

ولأجل تحقيق ذلك يمكن مبدئياً تفعيل منتديات المناقشة ومن خلالها يمكن تقييم مستوى الطالب من ناحية المادة العلمية ومن ناحية مدى تطبيقه لتلك المادة فعليا.

كمثال: يمكن لمدرس النحو أن يقيم الطالب من خلال رصد الاخطاء العلمية في نماذج من المناقشات التي يكتبها في المنتدى بصرف النظر عن كون تلك النماذج تتعلق بالنحو أو بمادة أخرى كالتاريخ الإسلامي او التفسير او غيرهما.

وكذلك تقييم الطالب من خلال البحوث القصيرة او المتوسطة او الطويلة التي يقدمها للأستاذ بمبادرة شخصية وغير ذلك.

٨. لا بدّ من فتح منصة إفتراضية تفاعلية من طراز edx أو منصة ادراك خاصة بالمؤسسة التعليمية الدينية توضع فيها المحاضرات المهمة وذات الأهمية البالغة مع ايلاء اهتمام لها وجعل الحصول على شهاداتها من ضمن المهام المطلوبة داخل الصف الإفتراضي لأي درس.

٩. نوصي بشكل خاص بضرورة تحويل منصات التعليم الدينية الإفتراضية الى منصة شاملة لكل التخصصات الأخرى كالطب والهندسة والإنسانيات بشكل عام مع اضفاء مسحة إسلامية مؤثرة على تلكم التخصصات، ذلك لأن هذه التخصصات تعتبر عنصر جذب للآلاف من الطلبة التواقين للمعرفة العلمية مدمجة بالمعرفة الدينية الراقية.

وأخيراً نأمل أن يكون لهذه الورقة البحثية المتواضعة أثرا إيجابيا في الالفات إلى أهمية التعليم الديني الإفتراضي وحث مؤسساتنا التربوية والتعليمية ببذل المزيد من الجهود الجادة للإستفادة منه بصورة فعالة تحقق المطلوب.

قائمة المصادر

١. **القرآن الكريم**.

٢. مصطفى يوسف كافي؛ (٢٠٠٩)، **التعليم الإلكتروني والإقتصاد المعرفي**، عمان: دار المنهل ناشرون.

3. Ghirardini, Beatrice; (2011), **E-learning Methodologies: A Guide for Designing and Developing E-Learning Courses**, Instructional Designer, Food and Agriculture Organization of the United Nations (FAO).
4. *https://ar.wikipedia.org/wiki/*
5. *https://futurism.com/heres-everything-you-need-to-know-about-elon-musks-humanai-brain-merge/amp/*
   http://ibelieveinsci.com/?p=28802
6. *https://www.edx.org/course/introduction-computer-science-harvardx-cs50x*
7. *https://www.edx.org/course/justice-harvardx-er22-1x-1*
8. *http://www.lonestar.edu/multimedia/sevenprinciples.pdf*

9. http://www.riemysore.ac.in/ict/unit__7__elearning.html
10. http://www.shamsunalarabia.org/php/coursedetails.php?courseID=21
11. http://www.usf.edu/atle/about-us/kevin-yee.aspx
12. www.coursera.org/

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی